

ما قيل عن ذلك ما نقله ابن رشيق من أنهم استحلّفوا طرفة عن هذا البيت فحلف أنه لم يسمعه قط⁽²⁴⁾. ولا أدري كيف يقبل ابن رشيق قصة مثل هذه عن شاعر (مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أغلاق خزائنه). وهو شاعر افتخر بأنه لا يغير على الأشعار يسرقها، لأنه غني عن ذلك، ولأن شرّ الشعر ما سرقا. وشاعر هذه صفتة وصفة فحولته المعروفة لن يهون عليه أن يقف ليحلف على ملكيته لبيت ليس له. ثم إن المرء ليعجب من هؤلاء الذين يحفظون هذه الحكاية، وينسون شعر طرفة وهو أهم وأعز. ثم كيف لم يذكرها المدونون الأوائل على ما فيها من طرافة.

ولأن يكون البيت ليس لطرفة فهذا أمر تميل إليه كل كتب التراث، والسؤال هنا هل هو تضمن أم هل هو نمط شفاهي مباح التداول للشعراء - كما يقول مونرو - أم أنه بيت دخيل أدخله الرواة خطأ في المعلقة.

والأخير هو ما نقول به، ونرى أن كثيراً من التشابهات النمطية ليست سوى خلط خاطيء من الرواة. وسنجعل هذا البيت مادة لإجراء التشريح النصوصي الذي نراه كفيلاً بالتمييز والكشف.

1.3 - يشترك امرؤ القيس وطرفة - روائياً - في البيت. ولكي نعرف وضع البيت وموقعه فإننا نضعه في جملته الشعرية في كل من القصيدتين، ونفحص البيت من داخل جملته ونسقه الشعري. ولنبدأ بامرؤ القيس الذي لا يشك أحد في نسبة البيت إليه، يقول امرؤ القيس:

قفأ نيك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل